المقتطف

الجزء الثامن من السنة الثانية والعشرين

١ اغسطس (ايلول) سنة ١٨٩٨ — الموافق ١٣ ربيع الاول سنة ١٣١٦

ملوك مصر القدماء

الدولة السابعة عشرة

نشأت هذه الدولة والرعاة سائدون على القطر المصري فلم يظهر لها شأن الاَّ في اواخر مدتها . ويقال ان ملوكها تسعة وان اصلهم من بلاد النوبة من نسل ملوك مصر الاقدمين الذين هاجروا الى بلاد النوبة من وجه الرعاة

واول ملك وجدت آثارهُ منهم سكنَنرع الاول ولعلهُ الخامس من ملوكها ذُكر قبرهُ في درج حيث ذُكرت قبور ملوك آخرين فقيل فيهِ " ان قبر الملك سكنرع بن الشمس خصهُ البنَّاؤون فوجدوهُ سليمًا". اما آثارهُ فلم يوجد منها الاَّ دواة وهي الآن في متحف اللوفر باريس وعصا للحذف وهي في متحف بولاق وقد تسلط بين سنة ١٦٦٠ و١٦٣٥ قبل المسيح

وخلفهُ سكنرع الثاني وذُكر قبرهُ في الدرج المشار اليهِ آنفًا كما ذكر قبر سلفهِ . ثم سكنرع الثالث وقد وُجد تابوتهُ وجثتهُ في الدير البحري مع جثث غيرهِ من الملوك فنقلا الى متحف بولاق . ويظهر من جثتهِ انهُ قُتل قتلاً في حومة الوغى فضُرب ضربةً شديدة على صدغهِ الايسر ثم ضُرب ضربة فادحة بفأس على رأسهِ جرحتهُ جرحًا بالغًا وعضَّ لسانهُ حينئذٍ إما من شدَّة الالم او من زخم الضربة. واصابهُ خنجر في صدغهِ الايمن فانجهز عليهِ . ووجد أتباعهُ جثتهُ فلفوها واحتملوها الى طيبة وحنَّطوها بعد ان حلَّ بها الفساد

وكان طويل القامة نحيف الجسم صغير الرأس اسود الشعر تدلُّ ملامح وجههِ على انهُ تركي الاصل وكان يحنق شعر وجههِ لا شعر رأسهِ

وزوجتهُ احموتب من اعظم ملكات مصر اللواتي ورد ذكرهنَّ في التاريخ وابنتها تفرتاري

اعظمهنّ واشهرهنّ وكانت نفرتاري سوداء اللون واما اخوها احمس فكان اسمر كالمصريين. فاذا كان سكنرع الثالث نوبيًّا فنفرتاري منه واحمس من زوج آخر ابيض كأن الهكسوس تزوجت اولاً بامير مصري فولدت احمس منهُ ثم تزوجت بالملك سكنرع فولدت منهُ نفرتاري وكامس فخلف كامس اباهُ مدة قصيرة ثم انتقل الملك الى احمس وهو اول ملوك الدولة الثامنة عشرة

وطالت حياة الملكة اشحوتب الى ايام امنحوتب الاول من ملوك الدولة الثامنة عشرة فبلغ عمرها حينئذٍ ٨٨ سنة على الاقل ويظهر من بعض الآثار انها بقيت سيفي قيد الحياة الى ايام الملك تحتمس الاول وكانت قد ناهزت المئة اي انها وُلدت ورواية الهكسوس منشورة في القطر المصري وماتت وحولها غنائم شتى مما غنمهُ ابنها وابنهُ وابن ابنهِ في غزواتهم بعد ما طُرد الهكسوس من البلاد

وقد وُجد تابوت هذه الملكة وجثتها وحلاها الكثيرة في طيبة مدفونة في الارض حيث قبور الدولة السادسة . والمكان الذي وُجد تابوتها فيهِ ليس مدفنها الاصلي ولا هو مدفن ملكي ولا يعلم من نقلهُ الى ذلك المكان فتجشّم مشقة نقلهِ وهو ثقيل جدًّا من غير ان يسلب ما فيهِ من الحلى الكثيرة . ولا بدَّ من ان يكون الناقل لهُ رجلاً من المخلصين الولاء لها او القائمين على عبادتها فاحتملهُ من مدفنهِ واثمن عليهِ الارض ولم يضع لهُ اشارة تدلُّ عليهِ خوفًا من اعتداء الانسان ايقانًا بان الارض آمن الاماكن على رفات الاموات . ووُجد هذا التابوت سنة ١٨٦٠ فاخذهُ مدير قنا اولاً من واجدهِ ثم علم بهِ سريت الشهير فاخذهُ منهُ واتى بهِ الى متحف بولاق . وهو من خشب رزين مصبوغ بالازرق وغطاؤهُ مخين مذهَّب كلهُ وعلى وجههِ صورة ايس وقد بسطت جناحيها. وكانت الجثة داخل التابوت ومعها اربع من القواديس التي توضع فيها احشاء الاموات وكثير من الحلى من ذلك جُعَل وسلسلة على صحبكها اسم احمس وثلاثة اساور واكليل وعليها كلها اسم احمس. وفاس وخنجر من الذهب وعليهما اسم احمس ايضًا وهما المرسومان في الشكل الاول على الصفحة التالية . اي ان الملك احمس اهدى اليها هذه الحلى وهي بين الخمسين والخامسة والسبعين من عمرها . ووُجد في تابوتها ايضًا قارب صغير من الذهب وهو المرسوم في الشكل الثاني وعليهِ اسم ابنها كامس وقارب من الفضة

اما الملك كامس فرجح بتري انهُ حكم ست سنوات فقط من سنة ١٥٩٧ قبل المسيح الى سنة ١٥٩١ وحلاهُ الباقية الى الآن تشبه حلى احمس وقد وجد بعضها في تابوت امهِ كأن الذين نقلوا تابوتها وجدوا هذه الحلى في مدفنها فوضعوها فيهِ . وذكر تبرهُ في درج تابوت وقيل انهُ فُحص فوجد سليمًا والظاهر ان قصبة ملكهِ كانت الاشمونين

نأتي الآن الى كيفية اخراج الهكسوس من مصر ونلخص الكلام في ذلك عن كتاب الاستاذ بتري الذي طبع في العام الماضي

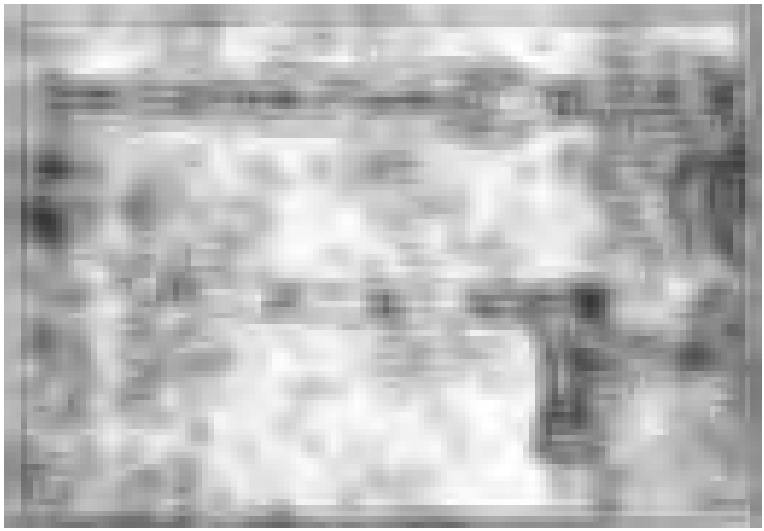

الشكل الاول خنجر الملكة اهحوتب وقاسها وهما في متحف الجيزة

قال : يظهر مما كتبه مينثو ان عصر الهكسوس يقسم الى ثلاث مدات المدة الاولى ١٠٠ سنة قضيت في غزو البلاد المصرية والاستيلاء عليها وهي من سنة ٢٠٩٨ قبل المسيح الى سنة ١٩٩٨ والمدة الثانية ٢٧٠ سنة في مدة ملك ستة من الملوك العظام وفي ايامهم استتب

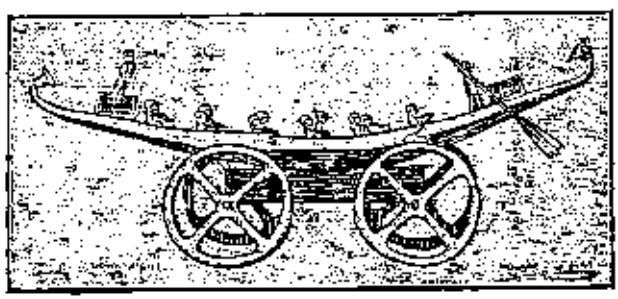

الشكل الثاني قارب الملكة اهحوتب وهو في متحف الجيزة

الامن في البلاد وطلقت يد حكامها الوطنيين تحت سيادة الهكسوس وهي من سنة ١٩٩٨ — ١٧٢٨ . والمدة الثالثة ١٥١ سنة ضعفت فيها سلطة الهكسوس وخرجت البلاد عن طاعتهم

رويداً رويداً الى ان شتّت احمس عنا الطاعة وهي مدة الدولة السابعة عشرة من سنة ١٧٣٨ — ١٥٨٧ وباحمس هذا ابتدأت الدولة الثامنة عشرة كما تقدّم

ويظهر من هيئة سكنرع المار ذكرهُ ان الدولة السابعة عشرة من اصل نوبي وان الملوك الاولين منها الذين نشأوا بين سنة ١٧٣٨ و١٦٦٠ لم يقيموا في القطر المصري بل في بلاد النوبة وكانوا يغزون جنوبي القطر المصري من وقت الى آخر لانقاذه من صولة الهكسوس، والظاهر من الآثار ان سلطة ابيبا او ابيبي الاول كانت ممتدة الى اسوان واما سلطة ابيبي الثاني فقصرت عن شمول طيبة . وقد وُجد مدرج من البردي عليهِ كتابة ظُنَّ اولاً انها من تاريخ هذا الملك ثم ثبت انها قصة مبنيَّة على بعض الحوادث التاريخية من ايامهِ . والمدرج ممزّق وقد قرئ ما فيهِ هكذا

"حدث ان ارض مصر صارت مباءة للرباء (اي الغرباء) ولم يكن في ذلك الوقت سيد ولا ملك (اي لم يكن ملك على البلاد كلها) . وكان الملك سكنرع لم يزل اميراً في الوجه القبلي . وكانت الغرباء من شعب العمو وكان ابيبي اميراً في هوار (اوارس) وتسلطوا على البلاد باعمالهم ومخبرات مصر فقام ابيبي وجعل سوتخ ربّاً ولم يعبد الهاً في كل ارض مصر سوى سوتخ وبنى لهُ هيكلاً ازليًّا وكان يضحي كل يوم بوكب عظيم ليقدم الضحايا اليومية لسوتخ وكان رؤساء الملك بالاكليل كما يفعل في هيكل راهرم خوتي وطلب الملك ابيبي كلاماً ليرسل رسالة الى الملك سكنرع امير مدينة الجنوب (طيبة)

وبعد ايام كثيرة دعا الملك ابيبي رؤساء رجالهِ العظام وقوّاد جيشهِ وحكماء القواد فلم يعرفوا ما يقولون للملك سكنرع امير الجنوب فدعا الملك رع ابيبي كتّابهُ الدهاة فقالوا لهُ ايها المولى ليحسن في عينيك وليذهب رسول الى امير مدينة الجنوب ويقل لهُ ارسل الملك رع ابيبي يقول . . . ترعة افراس البحر التي في ترع البلاد فيدعوني نهاراً وليلاً ونهاراً . . . . .

وبعد ايام كثيرة ارسل الملك ابيبي الى امير مدينة الجنوب الرسالة التي قالها لهُ كتبته الدهاة. وجاء رسول الملك ابيبي الى امير مدينة الجنوب وأُحضر الى امام امير مدينة الجنوب فقال لهُ رسول الملك ابيبي ما هي الرسالة التي معك الى مدينة الجنوب لماذا اتيت الى هنا فاجابهُ الرسول قائلاً ارسل اليك الملك ابيبي قائلاً ارسل اليك الملك ابيبي يقول دع الذين على ترعة افراس البحر التي . . . مدينة . . . . النوم نهاراً وليلاً لم يرد اليَّ . فاضطرب امير الجنوب حتى لم يعرف كيف يجيب عن رسالة الملك رع ابيبي "

والكلام بعد ذلك كثير التقطع ولكن يُفهم منهُ ان سلطة ملوك الهكسوس كانت قوية

في البلاد وان امراء مصر كانوا يخشون سطوتهم

وجاء في كتابة على المدفن المعروف باسطبل عنتر في بني حسن اشارة واضحة الى تخريب البلاد في زمن الهكسوس والعبث بها كلها. والكلام لملسان ملكة مصرية وهي تقول "لقد خرب مكن سيدة نوص وغطى التراب مقدسها الجميل ولعب الاولاد فرق هيكلها فنزعتُ التراب عنهُ ورممتهُ واتممتُ ما لم يكن تامًّا منهُ لان شعب العمو كان في الوجه البحري وفي هوار وجوعهم خرّبوا المباني القديمة وحكموا وهم يجهلون الاله رع "

اما التاريخ الذي خرج فيهِ الهكسوس من مصر فذكرهُ منيثو على ما اوردهُ يوسيفوس عنهُ وذُكر على قبر القائد احمس وهو غير الملك احمس. وقد تقدم ان الملك سكنرع الاخير قُتل في ساحة الحرب بعيدًا عن طيبة ثم نُقل اليها ودفن فيها وذلك يدل على ان طيبة وما حولها كانت قد خرجت عن طاعة الهكسوس سنة ١٥٩٧ قبل المسيح وكانت تحوم بعيدة عنها شمالاً. ثم بلغ من امر الملك احمس انهُ شدَّد الحصار على معقل الهكسوس في الوجه البحري في اوائل ملكهِ سنة ١٥٨٥ . اي ان قوة الوطنيين بقيت تعاظم عشرين سنة الى ان قامت البلاد كلها معهم لطرد الهكسوس فطردوهم في عصر الملك احمس ونشأت الدولة الثامنة عشرة

وقد ذكرنا في الجزء الماضي بعض ما ذكرهُ يوسيفوس عن طرد الهكسوس من مصر وان الذي طردهم منها هو توتموس اي تحتمس الاول ابن احمس او ابن ابنهِ. ويقول الاستاذ بتري ان منيثو خلط بين فتح اوارس وحروب تحتمس التالية في سورية فزعم ان الطارد لهم من مصر هو تحتمس والصحيح انهُ احمس

والظاهر ان احمس تمكن من طرد الهكسوس في خمس سنوات ثم عاد الى الجنوب فلمَّ الهكسوس شعثهم واسترجعوا البلاد ثانيةً فعاد اليهم واوقع بهم. ثم حاولوا لمَّ الشعث والتغلب على البلاد مرةً ثالثةً فلم يفلحوا واستتبَّ الملك لاحمس على الديار المصرية كلها

الدولة الثامنة عشرة

ابتدأت بالملك احمس كما تقدَّم نحو سنة ١٥٨٧ قبل المسيح واشهر ما حدث في ايامهِ حرب الحرية التي تحرَّر بها القطر المصري من سلطة الهكسوس على ما تقدَّم فانهُ تعقَّب عليهم واضطرَّهم الى الخروج من هذا القطر ثم اتبع خطواتهم الى فلسطين وتقدم الى فينيقية (زاهي) فلما رأت قبائل الجنوب ان مصر خالية من ملك يذود عنها نزلت اليها وفي نيتها اجتياحها وبلغهُ الخبر فكرَّ راجعًا وصعد جنوبًا فدفع تلك القبائل بعد ان اثخن فيهم. وحاول الذين بقوا من امة الهكسوس في البلاد نم الشعث في غيابهِ واسترجاع الملك فلم يفلحوا

ولما استتب لهُ الملك في نحو السنة السادسة او السابعة اخذ في تنظيم شؤون البلاد وقضى في ذلك خمس عشرة سنة ثم التفت الى بناء اب كل والقصور وقد وُجد في مقالع طرة كتابة يقال فيها انهُ في السنة الثانية والعشرين من ملكهِ فتح تلك المقالع وقطع الحجارة منها لبناء هيكل فتاح في منف وهيكل آمن في طيبة وكان العمال فيها من السوريين

ووُجد تابوتهُ وجثتهُ محنطة في الدير البحري وهو شديد الفتل صغير الراس طويلهُ ويظهر انهُ توفي وعمرهُ اكثر من خمسين سنة وشعرهُ كثيف جعد يدل على ان عادة حلق الرأس لم تكن شائعة في ايامهِ

وعُبد احمس هو وزوجتهُ نفرتاري ونشأت في البلاد نهضة دينية لعبادة هذه الملكة بقيت فيها قرونًا كثيرة . وهي اخت احمس وزوجتهُ كما تقدَّم فهي ابنة ملك واخت ملك وزوجة ملك وام ملك . وقد وجد تابوتها في الدير البحري وهو خرق من الكتان مشدودة بالغراء ومطلية بالجبس ومدهونة بدهان اصفر معلم بالازرق مثل تابوت احمس وصورتها عليهِ وقد وضعت يديها على صدرها ومسكت بهما علامة الحياة . والتابوت كبير طولهُ عشر اقدام واربع عقد وقد وجد فيهِ جثة رعمسيس الثالث وجثة اخرى ولعلها جثة هذه الملكة ولكن لم يفحصها احد فحصًا علميًّا بل تركت في متحف بولاق اربع سنوات الى ان حلَّ بها الفساد ثم دفنت . ونوعم شكل وجهها على الاقل لكان من ذلك فائدة كبيرة

ولما توفي احمس خلفهُ ابنهُ امنحوتب الاول او امنوفس الاول ففزا بلاد النوبة وترك فيها آثارًا كثيرة منها صورتهُ في ابريم جالسًا تحت قبَّة وبجانبهِ اتان يذبان الذباب عنهُ وآخر يروح لهُ والاهة ساتي وراءهُ . وقد وجد تابوتهُ وجثتهُ في الدير البحري والتابوت غير مذهب كتوابيت الملوك السالفين واما قبرهُ فلم يوجد حتى الآن مع انهُ موصوف في بعض المكتشفات المصرية بان عمقهُ ١٢٠ ذراعًا . ولهُ هيكل وجدت آثارهُ سنة ١٨٩٦ عند طرف الصحراء في المكان المسمى ذراع ابي النجا وقد وجدت اشياء كثيرة من آثارهِ وعلى واحد منها رسم مركبة حربية يجرها فرسان وهي اول مرة وجد فيها رسم الفرس في الآثار المصرية

وتلاهُ تحتمس الاول وقد جلس على سرير الملك ارسل خطابًا شريفًا الى كل والٍ من ولاة الاعمال في مملكتهِ وقد وجد الخط الذي ارسلهُ الى والي الفنتين وهو يقول فيهِ

«كتاب من الملك ليعلمك انهُ رقي الى سدَّة حورس وحيدًا الى لابد وسيكون لتبي كذا وكذا (وهنا سلسلة القاب) فقدم القرابين للآلهة . يوفي الجيوب حسب مشيئة الامير ملك مصر العليا ومصر السفلى . وخذ البيعة من الناس وليحلفوا باسمي انا المولود من الام الملكية

سنسب . كتب هذا لنعم به وليحفظ بيت الملك ويتعزز"

واقتنى تحتمس الاول خطوات بيد فغزا بلاد النوبة وقمع العصاة الذين فيها وسبى كثيرين من اهلها وعاد الى طيبة بالغنائم ثم صار بجيش جرار وقطع الفيد ودوّخ بلاد الشام وبلغ الفرات ودجلة ونصب تذكاراً لذلك على الفرات يقول فيه ان تحوم مصر بلغت جهات حلب ولكن كانت سلطته على تلك البلاد وبلاد الشام اسمية فقط

وقد وجد تابوت هذا الملك في الدير البحري وكان مذهباً مرصعاً فنزع عنه الذهب والترصيع منذ عهد قديم . ووجدت جثته في تابوت الحتوب الثاني

وباني تحتمس كثيرة ومنها البرجان القائمان في هيكل الكرنك واقام الاعمدة في ذلك الهيكل وكتب فيه انه نفى من مصر كل ما يقلقها وازال منها الشرور والمآثم ونشر لواء الامن واخمد ثورة العصاة ثم طلب من معبوده امن لكي يعطي البلاد لابنته حتشبست كما اعطاه اياها والظاهر انه طلب ذلك وهو مريض فاراد ان تخلفه بعد وفاته لانها كانت اكبر من اخيها تحتمس وتزوجت باخيها قبل وفاة ابيها باسابيع قليلة

وتحتمس الاول مسلة من المسلتين الكبيرين المتين امام برجه في هيكل الكرنك اما المسلة الثانية فنصبها تحتمس الثالث . وله آثار في اسوان وابريم وسمنة بل في طنجور حيث العرض ٢١° و١٥′ شمالاً وفي طمبس حيث العرض ١٩°و٤٠′ وفي جزيرة اركو حيث العرض ١٩°و٢٠′ شمالاً دليلاً على انه امتدّ في غزواته الى قلب بلاد السودان

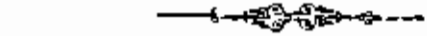

الفحم وما يحرقون

نكتب هذه السطور والانباء البرقية تأتينا من بورت سعيد عن الاسطول الاسباني وحاجته الى الفحم البحري وحظر الحكومة المصرية عليه اخذ الفحم من موانيها بل نقله من سفينة الى أخرى فيها واضطراره الى الخروج من ميناء بورت سعيد لكي ينقل الفحم من سفينة الى أخرى من سفنه في عرض البحر . وما قوم همّوا على سفر طويل وامامهم مفاوز مترامية لا طعام فيها ولا ماء ولا مقري ولا مضيف باعوز الى الزاد من ذلك الاسطول الى الفحم البحري ولولاه لكان ارماثاً تتقاذفها الامواج ولأمست مدافعه ونواسفه ورجاله وقوّادهم "فيه حطاماً من اليبوت والخضد" . وهذا شأن الاسطول الذي ذهب الى كوبا ليذود عنها تردّد بها وسابيع على اماكن مختلفة ليتزود الفحم منها ثم اضطرّ ان يلتجئ الى مرفإ سنتياغو في